د. يحيى بن حمزة الوزنة السليمانى (*)

ملامح من حضارة دمشق
(من الفتح الإسلامى حتى العصر الأموى)

تمهيد: دمشق قبل الفتح الإسلامى:

أخذ الطابع العربى يسود دمشق منذ حكمها الأنباط ، فتوالت عليها هجرات عدد كبير من القبائل العربية التى استقرت فى المنطقة المحيطة بها ، وظلت على هذه الحال حتى قضى الإمبراطور الرومانى تراجان سنة ١٠٥م على إمارة الأنباط ، واستولى عليها(١) طمعًا فى السيطرة على الطريق التجارى الذى يمر بها(٢) ولم يتخذ الرومان هذه المدينة حاضرة بسبب تعرضها لغارات القبائل العربية الضاربة فى نواحيها (٣).

وقد عمد الرومان فيما بعد إلى إضعاف الإمارات العربية بالشام والقضاء على نفوذها، إذ غدا استقلالها خطرًا يهدد سلامة إمبراطوريتهم ، وتجلت هذه السياسة مع إمارة تدمر التى خالفت روما ، ونفذت سياستها ضد الفرس ، إذ نجح أذينه حاكم تدمر فى طرد شابور الأول الفارسى من الشام سنة ٢٦٥م . ومنحه الإمبراطور الرومانى أوريان لقب " حاكم الشرق " (Dux Orientis) اعترافًا بجهوده وخدماته ، غير أن هذه الإمارة لم تستمر طويلا ، فقد قضى عليها الرومان سنة ٢٧٣م(٤).

---

* قسم التاريخ والحضارة الإسلامية كلية الشريعة – جامعة أم القرى .

وبينما كان الرومان يعملون على القضاء على نفوذ الإمارات العربية فى بلاد الشام الواحدة بعد الأخرى ، كانت قبيلة أخرى(٥) تدعم لنفسها على أنقاض إمارتى الأنباط وتدمر ، تقيم دولة فى الجنوب الشرقى من دمشق (٦).

كانت بادية الشام أرضًا عربية من أقدم الأزمنة ، فوفد إليها بعض القبائل من البادية ، كما هاجر إليها الضجاعمة (٧)، ونزلوا بالبلقاء وظلوا بها ، إلى أن قدم عليهم الغساسنة ، فطالبهم الضجاعمة بالإتاوة ، وظل الغساسنة يؤدون الإتاوة للضجاعمة حتى تغلبوا عليهم ، وأنشئوا لأنفسهم دولة عرفت بدولة الغساسنة ، واتخذ الغساسنة أكثر من عاصمة لأن – حياتهم كانت غير مستقرة ، ومن عواصمهم بُصرى(٨) وجلق (جنوبى حوران) والجابية (٩).

زاد الاهتمام بمدينة دمشق فى عهد الدولة البيزنطة ، لأن الفرس كانوا يتطلعون إلى الاستيلاء عليها ، فاتخذ البيزنطيون من الغساسنة – الذين كانوا يقيمون فى منطقة دمشق والصحراء القريبة منها – حلفاء لهم لحماية حدود دولتهم من خطر الفرس وغارات البدو . وقد أدت هذه السياسة إلى تقوية الطابع العربى فى دمشق ، فغدت محط أنظار العرب فى الجاهلية يفدون إليها للتجارة (١٠).

حالف الروم الغساسنة على أن يمدوهم بأربعين ألفًا إذا هاجمهم العرب ، وأن يمدوا الروم بعشرين ألفًا إذا حاربهم الفرس . واعتنق الغساسنة – تحت تأثير ما بينهم وبين البيزنطيين من علاقات المسيحية ، غير أنهم لم يتبعوا المذهب الملكانى – مذهب الدولة البيزنطية – بل اعتنقوا المسيحية على المذهب المنوفستى السائد فى سورية .

كان الحارث الثانى بن جبله (٥٢٩ – ٥٦٩م) من أعظم أمراء الغساسنة شأنًا ، وقد رفع الإمبراطور جستنيان الحارث إلى مرتبة الملوك ، وبسط سلطانه على كافة القبائل العربية فى بلاد الشام .

قامت بين الغساسنة والمنذر بن ماء السماء – أمير الحيرة – حرب لادعائه ملكية الطريق الممتد من دمشق إلى ما بعد تدمر ، وأوعز كسرى سرًا لأمير الحيرة أن يتوغل فى غزو سورية، فأجابه إلى طلبه ، وقامت الحرب بسبب ذلك بين الحيرة ودولة الغساسنة ، ثم تقدم كسرى وحليفه المنذر فى أراضى سورية وآسيا الصغرى ، وأوشكا على فتح القسطنطينية ، فاستنجد الإمبراطور البيزنطى بالحارث بن جبله ، وطلب منه أن ينضم إلى قائده بليزاريوس فى صد الفرس والمناذرة وفى سنة ٦٤١م حارب الحارث فى العراق بجانب الروم تحت قيادة بليزاريوس ، ولم يحصل من حملته هذه على نتائج تذكر .

لم يمض على هذه الغزوة زمن طويل حتى عاد الأميران العربيان إلى القتال سنة ٥٤٤م ، واستمر القتال بينهما إلى أن أحرز الحارث بن جبلة انتصاراً حاسماً فى واقعة عين أباغ ، أدت إلى دخول قنسرين فى حوزة الحارث بن جبلة (١١).

سافر الحارث بن جبلة فى أواخر عهده سنة ٥٦٣م إلى القسطنطينية لمفاوضة الإمبراطور جستنيان فيمن يخلفه من أولاده على سورية ، وما يتخذ من تدابير لمقاومة أمير الحيرة ، وكان لما شاهده فى العاصمة البيزنطية من مظاهر العظمة والأبهة وقع عظيم فى نفسه (١٢).

استطاع الحارث بن جبلة أثناء إقامته فى القسطنطينية أن يظفر بتعيين يعقوب البردعى أسقفًا على الكنيسة السورية ، وكان يعقوب هذا متحمسًا فى نشر مذهبه حتى أن الكنيسة المنوفستية السورية عرفت بعده باسم اليعقوبية (١٣).

لما توفى الحارث سنة ٥٧٠م خلفه ابنه المنذر ، ولم يكد يتسلم زمام الحكم حتى اشتبك فى حرب مع عرب الحيرة ، وكانوا قد أغاروا على سورية بعد وفاة أبيه ، فقاتلهم وانتصر على ملكهم قابوس بن المنذر ، ثم وقعت جفوة بين المنذر وبيزنطة بسبب مناصرته المذهب المنوفستى – وكانت تؤيد المذهب الملكانى – فانتهز عرب الحيرة هذه الفرصة وأغاروا على سورية ، فاضطر الروم إلى استرضاء الأمير الغسانى ودعاه الإمبراطور البيزنطى تيبريوس (Tiberius) لزيارة القسطنطينية سنة ٥٨٠م ، فرحب المنذر بهذه الدعوة ، وأحسن الإمبراطور استقباله ، وأنعم عليه بالتاج ، وذلك سماه بعض مؤرخى العرب " المنذر ملك العرب " (١٤).

على أن الإمبراطور البيزنطى لم يلبث أن ارتاب فى ولائه ونفاه سنة ٥٨٠م إلى صقلية حيث توفى بعد سنتين . وقطعت الحكومة البيزنطية الإتاوة السنوية التى كانت تعطيها للغساسنة ، فسخط أبناء المنذر الأربعة على الإمبراطور البيزنطى ، وشقوا عصا الطاعة على الدولة الرومانية ، ثم توغلوا بزعامة أخيهم الأكبر النعمان بن المنذر الغسانى فى الصحراء ، وأخذوا يشنون الغارات على أراضى هذه الدولة ، لكن الحكومة البيزنطية تمكنت من أسر النعمان سنة ٥٨٣م(١٥).

تفرقت كلمة العرب فى سورية بعد أن سيق النعمان إلى القسطنطينية وتفككت عرى وحدتهم ، فاختارت كل قبيلة منهم أميراً لها (١٦).

كما ترتب على انهيار سلطان الغساسنة هجرة بعض القبائل العربية إلى الشام ، ومن أشهرها قبيلة كلب التى امتلكت غوطة دمشق ومنطقة جنوب جبل حوران وواحة دومة الجندل وتبوك ، وهيأت لهم هذه البقاع السيطرة على الطرق التجارية التى تخترقها فضلاً عن الينابيع المائية الكثيرة بها ، وورثت هذه القبيلة ما كان للغساسنة من زعامة على عرب الشام فى عهد معاوية وابنه يزيد (١٧).

كما كان لضعف الغساسنة بالشام آثار سيئة على مدينة دمشق إذ غزا الفرس بلاد الشام واستولوا على بيت المقدس ودمشق سنة ٦١٣ - ٦١٤م(١٨)، غير أن الفرس لم يستمروا طويلاً فى الشام إذ تمكن الإمبراطور هرقل من إجلائهم عن تلك البلاد سنة ٦٢٨م وظهر من الغساسنة إذ ذاك جبلة ابن الأيهم ، ويعد آخر أمراء البيت الغسانى ، وقد اشترك مع الروم فى واقعة اليرموك(١٩) التى انتصر فيها العرب المسلمون .

تعرضت دمشق فى العهد البيزنطى لأحداث هامة كان لها تأثير بالغ فى سكانها من العرب حملهم على التطلع إلى إخوانهم فى شبه الجزيرة العربية ، فقد كان أهل دمشق يتبعون المذهب اليعقوبى ، بينما كانت الدولة البيزنطية تتبع المذهب الملكانى ، حتى هرقل إنهاء النزاع بين أتباع المذهبين ، ففرض على سكان الإمبراطورية مذهبًا يقول بأن للمسيح مشيئة واحدة(٢٠) ولكن أهل دمشق تمسكوا بمذهبهم اليعقوبى (٢١). وقد أدنت هذه السياسة بزوال عهد السيادة البيزنطية على دمشق ، إذ سرعان ما تحققت الوحدة الدينية والسياسة فى جزيرة العرب ، ورأوا فيهم رمزًا للخلاص من نير الروم واستبداد الكنيسة البيزنطية (٢٢).

الفتح الإسلامى لمدينة دمشق :

شرع المسلمون فى غزو الأطراف الجنوبية لبلاد الشام فى حياة النبى ﷺ ، ولما ولى أبو بكر الخلافة بدأ عمله بإنفاذ حملة أسامة بن زيد التى جهزها الرسول قبل وفاته ، وزودها بخيرة المسلمين من المهاجرين والأنصار (٢٣).

كان أبو بكر يرمى من وراء الإسراع بإرسال هذه الحملة إشعار الخارجين على الحكومة الإسلامية فى المدينة ، بقوتها وثبات مركزها ، هذا فضلاً عن رغبته فى شغل الأنصار الذين كانوا غير راضين عن فوز المهاجرين بالخلافة فى بيعة السقيفة (٢٤).

ويذكر ابن الأثير(٢٥) أنه كان لإنفاذ جيش أسامة أهمية كبيرة للمسلمين ، " فإن العرب قالوا : لو لم يكن بهم قوة لما أرسلوا هذا الجيش ، فكفوا عن كثير مما كانوا يريدون أن يفعلوا".

لكن بعض الصحابة اعترض على إرسال هذه الحملة ، وقالوا للخليفة " انتفضت عليك العرب فلا ينبغي أن تفرق جماعة المسلمين عنك " فأجابهم أبو بكر بقوله : " لا أرد قضاء اقضى به رسول الله ﷺ ، ولو ظننت أن السباع تخطفنى لأنفذت جيش أسامة كما أمر النبى"(٢٦).

ولما تحرك الجيش خرج أبو بكر لتوديعه ، وأوصى أفراد هذه الحملة بقوله " لا تخونوا ولا تغدروا ولا تغلوا ولا تمثلوا ولا تقتلوا طفلاً ولا شيخًا كبيرًا ولا امرأة ، ولا تعقروا نخلاً وتحرقوه ، ولا تقطعوا شجرة مثمرة ، ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيرًا ، وسوف تمرون بأقوام قد فرغوا أنفسهم فى الصوامع ، فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له . وسوف تقدمون على قوم بآنية فيها ألوان الطعام ، فإذا أكلتم منها شيئًا بعد شىء فاذكروا اسم الله عليه ؛ وتلقون أقوامًا قد فحصوا أوساط رؤوسهم وتركوا حولها مثل العصاب ، فلخفقوهم بالسيف خفقًا . اندفعوا باسم الله " (٢٧).

سار أسامة على رأس جيشه قاصدًا البلقاء ، حتى بلغ أبنى(٢٨) غزا قومًا من قضاعة وأوقع بهم ، وتغلب على كل من تعرض له ، وغنم وعاد منتصرًا إلى المدينة بعد أن قضى فى غزوته ما يقرب من شهرين(٢٩). وبذلك أخذ أسامة الثأر لأبيه ولمن استشهد معه من المسلمين فى مؤتة. وكانت هذه الحملة أولى السلسلة الرائعة من الحملات التى اجتاح العرب فيها سورية وفارس وشمال أفريقية (٣٠).

وجه أبو بكر اهتمامه بعد أن فرغ من أهل الردة إلى توجيه الجيوش إلى الشام ليحقق بذلك سياسة التوسع للدولة العربية الإسلامية التى وضع أساسها الرسول قبل وفاته(٣١) فجمع الصحابة فى المسجد وقال لهم : " اعلموا أن الله فضلكم بالإسلام وجعلكم من أمة محمد عليه السلام وزادكم إيمانًا ويقينًا ، واعلموا أن رسول الله ﷺ كان عول أن يصرف همته إلى الشام ... ألا وأنى عازم أن أوجه أبطال المسلمين إلى الشام بأهليهم وما لهم فإن الرسول أنبانى بذلك قبل موته ، فاستجاب الصحابة لنداء الخليفة وقالوا له : مرنا بأمرك ووجهنا حيث شئت"(٣٢).

كتب أبو بكر إلى أهل مكة والطائف واليمن وجميع العرب بنجد والحجاز ، يدعوهم للجهاد ويرغبهم فيه وفى غنائم الروم . وقد استجاب المسلمون فى جميع أنحاء الجزيرة العربية لنداء الخليفة " فسارع الناس إليه من بين محتسب وطامع " (٣٣)، فاقبلوا ومعهم الذرارى والأموال والنساء والأطفال . وخرج المسلمون لاستقبالهم " وأظهروا زينتهم وعددهم ونشروا الأعلام الإسلامية ورفعوا الألوية المحمدية ، فما كان إلا قليل حتى أشرفت الكتائب والمواكب يتلو بعضها بعضًا قوم فى أثر قوم وقبيلة فى أثر قبيلة ، فأنزلهم أبو بكر حول المدينة وجعل كل قبيلة تقيم فى ناحية معينة " (٣٤).

عقد أبو بكر أربعة ألوية لأربعة من قواد المسلمين ، وهم يزيد بن أبى سفيان ووجهته دمشق، وشرحبيل بن حسنة ووجهته وادى الأردن ، وعمرو بن العاص ووجهته فلسطين ، وعهد إلى أبى عبيدة عامر بن الجراح بالمسير إلى حمص ، وطلب إليهم فى حالة اضطرارهم إلى الانضمام لبعض أن تكون القيادة لأمير المنطقة التى فيها التجمع (٣٥).

أوصى أبو بكر الصديق يزيد بن أبى سفيان بقوله : " إذا سرت فلا تضيق على نفسك وعلى أصحابك فى مسيرك وشاور أصحابك فى الأمر " واستعمل العدل ، وباعد عنك الظلم ، فإنه لا أفلح قوم ظلموا ولا نصروا على عدوهم ، وإذا نصرتم على عدوكم فلا تقتلوا ولداً ولا امرأة ولا طفلاً ، ولا تغدروا إذا عاهدتم ولا تنقضوا إذا صالحتم ، ولا تهدموا صوامع الرهبان، وحاربوا عبدة الصلبان حتى يرجعوا إلى الإسلام أو يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون " (٣٦).

لما بلغ يزيد بن أبى سفيان تبوك – وهو فى طريقه إلى الشام – أنفذ هرقل إمبراطور الروم جيشًا ليحول دون دخول العرب بلاد الشام ، ودارت بين العرب والروم موقعة انتصر فيها العرب (٣٧).

وعندما سار عمرو بن العاص إلى فلسطين أسرع أميرها سرجيوس لصد غارات العرب ، لكنه هُزم فى موضع يقال له العربة (Araba) ثم فر وقُتل أثناء فراره ، وفى هذه الأثناء كان هرقل إمبراطور الروم فى شمال الشام قد حشد جيشًا كبيرًا لصد القوات العربية (٣٨)، فكتب عمرو بن العاص إلى أبى بكر يستنجده ويخبره بكثرة عدد العدو وعدتهم (٣٩)، وكان أبو بكر إذ ذاك يرى أن فتح الشام أكثر أهمية من فتح العراق (٤٠)، ومن ثم كتب إلى خالد بن الوليد – الذى كان وقتذاك يواصل زحفه فى بلاد العراق – يأمره بالتوجه إلى الشام(٤١)، وأسند إليه قيادة الجيوش العربية فى تلك البلاد (٤٢).

لما أتى خالد بن الوليد كتاب أبى بكر وهو بالحيرة أسند قيادة الجيوش العربية فى العراق إلى المثنى بن حارثة الشيبانى ، وسار فى ربيع الأول سنة ١٣هـ إلى بلاد الشام على رأس نصف الجيش الذى كان يقوده فى العراق (٤٣).

ولما وصل إلى بلدة بصرى - وكان فتحها قد استعصى على شرحبيل ابن حسنة استطاع أن يستولى عليها بمعاونة واليها رومانوس الذى اعتنق الإسلام ، ويسر للعرب أمر دخولها ، وصالح خالد أهل بصرى وأعطاهم أمانًا على دمائهم وأولادهم على أن يؤدوا الجزية (٤٤).

وكان عمرو بن العاص إذ ذاك قد أغار على جنوبى فلسطين حتى بلغ غزة ، فقطع المواصلات بين مدينة بيت المقدس وبين الساحل ، أما هرقل قيصر الروم فقد أعد جيشًا فى ناحية تقع جنوبى دمشق ، وأسند قيادته إلى أخيه تيودور الذى سار جنوبًا للدفاع عن بيت المقدس وغزة ، فخشى خالد بن الوليد هزيمة القوات العربية فى الجنوب ، وأسرع جنوبًا عبر شرق الأردن ، وحشد قواته فى وادى عربة ، ثم زحف إلى فلسطين لمحاربة تيودور ، وفى جمادى الأول سنة ١٣هـ نشبت معركة بين العرب والروم فى أجنادين دارت الدائرة فيها على الروم ، وولى تيودور هاربًا حيث التقى بأخيه هرقل الذى غادر حمص وتراجع إلى إنطاكية(٤٥).

وبانتصار العرب فى أجنادين أصبحت فلسطين كلها فى يدهم وقد نوه عن ذلك سفرنيوس رئيس أساقفة بيت المقدس فى خطاب ألقاه فى الاحتفال بعيد الميلاد سنة ١٣هـ (٦٣٤م) إذ قال : أن المسيحيين أصبحوا لا يستطيعون الحج إلى بيت لحم لأن بلاد فلسطين أصبحت فى قبضة العرب (٤٦).

لما علم أهل الحجاز واليمن ونجد بالانتصارات التى أحرزها المسلمون والغنائم الكثيرة التى غنموها ، تسابقوا فى الخروج إلى الشام لمشاركة إخوانهم فى الجهاد ، فأقبل إلى المدينة عدد غفير منهم ، وطلبوا من أبى بكر أن يأذن لهم بالخروج إلى الشام ، فأذن الخليفة لهم ، وكتب إلى خالد بن الوليد كتابًا جاء فيه : " قد فرحت بما أفاء الله على المسلمين من النصر وهلاك الكافرين ، وأخبرك أن تنزل إلى دمشق حتى يأذن الله بفتحها على يدك ، فإذا تم ذلك ، فسر إلى حمص وإنطاكية والسلام " (٤٧).

تركزت المعارك فى بداية عهد عمر بن الخطاب فى الأردن حيث انتصر العرب على الروم فى بيسان وفحل ، ذلك أن هرقل إمبراطور الروم لما توجه إلى أنطاكية أعد جيشًا كبيرًا التقى بالقوات العربية فى فحل التى كانت تحمى الطريق إلى دمشق - وهدم الروم سدود المياه

ليعرقلوا تحركات العرب (٤٨)، لكنهم رغم ذلك انتصروا على أعدائهم ، وتحصن أهل فحل فى مدينتهم ، فشدد العرب عليهم الحصار حتى طلبوا الأمان على أن يؤدوا الجزية والخراج فاستجاب العرب لطلبهم ، وأمنوا على أنفسهم وأموالهم ، ودخلوا فحل سنة ١٣هـ / ٦٣٤م(٤٩).

مهدت الانتصارات التى أحرزها العرب فى الأردن الطريق إلى دمشق ، فتوجه العرب فى المحرم سنة ١٤هـ إلى دمشق – وكان الروم قد أعادوا تنظيم صفوفهم بعد أن أمدهم هرقل ببعض قواته – ، والتقى العرب بالروم فى مرج الصفر وأوقعوا بهم الهزيمة(٥٠) وبذلك أصبح الطريق مفتوحاً أمام العرب للزحف إلى دمشق(٥١) فاستولوا على الغوطة وكنائسها عنوة(٥٢) وتحصنت الحاميات البيزنطية فى المدينة ، وأغلقوا أبوابها ، ومن ثم بدأ التعاون والتنسيق بين سائر قواد العرب ، فوزعوا قواتهم على أبواب المدينة الرئيسية لتشديد الحصار عليها ، وحملها على التسليم ، فاختص خالد بن الوليد بالباب الشرقى ، واتخذ من دير صليبا – الذى عرف فيما بعد بدير خالد – مقراً لقيادته ونزل عمرو بن العاص بباب توما ، وشرحبيل بن حسنة بباب الفراديس ، وأبو عبيدة عامر بن الجراح بباب الجابية (٥٣).

وبينما كان أبو عبيدة عامر بن الجراح يشترك مع قواد العرب فى محاصرة دمشق وصله كتاب من الخليفة عمر بن الخطاب يتضمن إسناد قيادة الجيوش العربية فى الشام إليه بدلاً من خالد بن الوليد . ومما جاء فى هذا الكتب " قد بلغنا حصاركم لأهل دمشق وقد وليتك جماعة المسلمين ، فبث سراياك فى نواحى أهل حمص ودمشق وما سواها من أرض الشام ، وانظر فى ذلك برأيك ، ومن حضرك من المسلمين ومن استغنيت عنه فسيره ، ومن احتجت إليه فى حصارك فاحتبسه وليكن فيمن يحتبس خالد بن الوليد فإنه لا غنى بك عنه " (٥٤).

كتم أبو عبيدة عن خالد بن الوليد توليته قيادة الجيوش العربية حتى تم فتح دمشق ، وحينئذ أظهرها له قائلاً : كرهت أن أكسرك وأوهن أمرك وأنت بإزاء عدو (٥٥). ولما قرأ خالد بن الوليد كتاب الخليفة قال : (ما أنا بالذى أعصى أمير المؤمنين) ، وحارب تحت إمرة أبى عبيدة (٥٦).

ظل العرب يحاصرون مدينة دمشق ستة أشهر متوالية(٥٧) ولم تجد أهالى هذه المدينة منعة حصونهم نفعًا ، كما أنه فى أثناء الحصار كانت بعض القوات العربية بين دمشق وحمص تحول دون وصول أية إمدادات قد تصل إليهم ، فضعفت مقاومتهم ، ووهنت عزيمتهم(٥٨) .

لما اشتد الحصار على أهل دمشق بعثوا إلى هرقل وهو بإنطاكية رسلاً يقولون له : " إن العرب قد حاصرونا وليس لنا بهم طاقة ، وقد قاتلناهم مرارًا ، فإن كان لك فينا وفى السلطان علينا حاجة ، فأمددنا وأعنا وإلا فإنا فى ضيق وجهد فاعذرنا وقد أعطانا القوم الأمان ، ورضوا منا بالجزية اليسيرة (٥٩).

لما رأى أسقف دمشق أن أبا عبيدة بن الجراح على وشك دخول مدينة دمشق من باب الجابية توجه إلى خالد بن الوليد وطلب منه أن يعقد معه صلحًا بقوله : " يا أبا سليمان أن أمركم مقبل ولى عليك عدة ، فصالحنى عن هذه المدينة " ، فأجاب خالد طلبه ، وكتب إليه كتاب صلح لأهل دمشق جاء فيه :

" بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أعطى خالد بن الوليد أهل دمشق إذا دخلها أعطاهم أمانًا على أنفسهم وأموالهم وكنائسهم وسور مدينتهم لايهدم ولايسكن شىء من دورهم لهم بذلك عهد الله وذمة رسوله صلى الله عليه وسلم والخلفاء والمؤمنون لايعرض لهم إلا بخير إذا أعطوا الجزية " (٦٠).

فتح أسقف دمشق على أثر ذلك الباب الشرقى لخالد بن الوليد ، فدخل المدينة فى ربيع الثانى سنة ١٥هـ / ٦٣٦م ، وبصحبته الأسقف ناشرًا كتاب الصلح الذى كتبه خالد بن الوليد له . والتقى خالد بقوات العرب فى دمشق على مقربة من كنيسة المقسلاط (٦١) ، وأخبرهم بالصلح الذى كتبه لأهل دمشق ، فأمروا قواتهم بالكف عن 'لقتال(٦٢) وكتب أبو عبيدة إلى عمر بن الخطاب بهذا الصلح فوافق عليه (٦٣).

هنك روايات كثيرة تدور حول الفتح العربى لمدينة دمشق يناقض بعضها بعضًا ، ومن أبرز هذه الروايات رواية ابن عساكر(٦٤) التى ذكر فيها أن خالد بن الوليد دخل المدينة من الباب الشرقى عنوة ، فى حين دخل أبو عبيدة من باب الجابية صلحًا ، وعلى ذلك كان صلح أهل دمشق على أنصاف منازلهم وكنائسهم . وهذه الرواية متأخرة وتتناقض كل الروايات الموثوق بها والسابقة عليها فى الزمن ، ورواية البلاذرى أقرب هذه الروايات إلى الصحة (٦٥).

ذكر البلاذرى(٦٦) أن محمد بن سعد(٦٧) روى عن الواقدى قوله : " قرأت كتاب خالد بن الوليد إلى أهل دمشق فلم أر فيه أنصاف المنازل والكنائس ، ولكن دمشق لما فتحت لحق كثير من أهلها بهرقل وهو بإنطاكية ، فكثر فضول منازلها ، فنزلها المسلمون " . وكان أبو عبيده قد أعطاهم أمانًا لمدة ثلاثة أيام يغادرون خلالها المدينة (٦٨).

قضى العرب شتاء سنة (٦٣٦م) فى دمشق واضطروا إلى الرحيل عنها وعن بعض المدن التى فتحوها لملاقاة الروم فى اليرموك ، بل أعادوا لأهل حمص ما أخذوه من الخراج وقالوا لهم : قد شغلنا عن نصرتكم والدفاع عنكم فأنتم على أمركم (٦٩). ذلك أن هرقل عول على مهاجمة العرب بعد أن بلغه فتحهم دمشق ، فجمع جيشًا كبيرًا من الروم وعرب الشام وأهل الجزيرة وأرمينية ، وأسند قيادة هذا الجيش إلى تيودور (٧٠).

اجتمعت القوات العربية فى المنطقة المعروفة بحوض نهر اليرموك . أما قوات الروم فسارت إلى الواقوصة ، وهاجمت خيالتهم العرب (٧١)، واشتد القتال بين الفريقين ، ولكن حدث أن استهوت عرب الشام بالجيش البيزنطى العصيبة العربية ، وانضموا للقوات العربية أثناء القتال وقالوا لهم : " أنتم إخوتنا وبنو أبينا " . كما أن اليأس تسرب إلى جند الروم بعد أن فشلوا مرارًا فى وقف تيار الزحف العربى ، وانتهت موقعة اليرموك بهزيمة الروم فى رجب سنة ١٥هـ / ٦٣٦م(٧٢).

عاد العرب إلى دمشق بعد انتصارهم الرائع فى اليرموك فى خريف هذه السنة ، وفتحوها للمرة الثانية ، وجدد خالد بن الوليد لأهل دمشق كتاب الصلح الذى كان كتبه لهم ، وأثبت فى هذا الكتاب شهادة أبى عبيدة بن الجراح ويزيد بن أبى سفيان وشرحبيل بن حسنة وغيرهم من قواد العرب (٧٢).

ولما بلغ هرقل إيقاع المسلمين بجنده قال فى حسرة وألم : " عليك السلام يا سورية لقد كنت سلمت عليك تسليم المسافر ، فأما اليوم فعليك السلام يا سورية تسليم المفارق ، ولا يعود إليك رومى أبدًا إلا خائفًا " (٧٤).

عاد العرب عقب اليرموك إلى المناطق التى كانت تعسكر فيها قواتهم ، فسافر عمرو بن العاص إلى فلسطين ليتم فتحها ، واتجه شرحبيل بن حسنة إلى الأردن ، وفتح عكا وصور وأخذ يزيد يغزو مدن الشام الغربية ، فاستولى على صيدا وجبيل وبيروت ، أما أبو عبيدة فإنه تقدم شمالاً واسترد المدن التى استولى عليها العرب من قبل ، وامتدت فتوحه إلى حمص وقنسرين وحلب وإنطاكية ، وكان خالد بن الوليد قد سار فى صحبته ، غير أنه ما لبث أن تركه وتوجه إلى المدينة تنفيذًا لأوامر الخليفة ، وظل أبو عبيدة واليًا على سورية كلها (٧٥).

كانت دمشق من بين المدن التى استردها العرب بعد انتصارهم فى اليرموك . وكان خالد قد فتحها فى أول الأمر صلحًا ، ثم اضطر العرب إلى الزحيل عنها ، فاستعاد الروم سلطانهم

عليها ، غير أنهم لم يبقوا بها طويلاً ، فقد عادت إلى قبضة العرب سنة ١٥هـ (٧٦)، ومن ثم أصبح لهم حق التصرف فى أرضها (٧٧).

صالح أبو عبيدة أهل دمشق على أداء الجزية والخراج وتقديم قدر من الطعام لمؤونة المسلمين، كما التزموا بإضافة من يمر بهم من المسلمين ثلاثة أيام من أوساط ما يأكلون ولا يحدثوا فى دمشق ولا فيما حولها كنيسة أو ديراً ولا يجددوا ما خرب من كنائسهم مما كان فى خطط المسلمين ولا يؤوون فى منازلهم جاسوساً ولا يكتموا على من غش المسلمين (٧٨).

كان أبو عبيدة بن الجراح قد قرر على كل ذمى فى دمشق جزية قدرها ديناراً واحداً تؤدى فى كل سنة يضاف إلى ذلك جريب حنطة وقدر من الخل والزيت لمؤونة المسلمين تؤدى فى كل شهر ، ثم كتب عمر بن الخطاب إليه يأمره بأن يجعل الجزية قدر الطاقة فتؤدى الطبقة العليا أربعة دنانير والطبقة الوسطى دينارين والطبقة الدنيا ديناراً واحداً يضاف إلى ذلك(٧٩) جريب حنطة وثلاثة أقساط زيت وقدر من العسل والخل يؤديها شهرياً كل من يؤدى الجزية (٨٠).

وترك أبو عبيدة أرض دمشق وقراها الزراعية بأيدى أهلها يزرعونها ويؤدون خراجاً عنها . ولما قدم عمر بن الخطاب على الجابية سنة ١٨هـ رفض تقسيم هذه الأرض بين الفاتحين وأبقاها بأيدى أهلها على أن يؤدوا خراجها (٨١).

واختط أبو عبيدة بن الجراح فى دمشق مسجداً صغيراً عقب فتحها(٨٢) وترك لأهل الذمة خمس عشرة كنيسة يؤدون فيها شعائرهم الدينية (٨٣).

عين عمر بن الخطاب يزيد بن أبى سفيان أميراً على دمشق بعد وفاة أبى عبيدة الجراح ، ولما توفى فى سنة ١٨هـ ضم عمر بن الخطاب إلى معاوية بن أبى سفيان – الذى كان يلى الأردن – ولاية دمشق ، وأقر عثمان بن عفان ولايته عليها ، ثم ضم إليه فلسطين وحمص وقنسرين وجمع له الأجناد كلها ، وبذلك أصبح والياً على جميع بلاد الشام لسنتين من خلافة عثمان(٨٤) ومما لاشك فيه أن عثمان بن عفان بإطلاقه يد معاوية فى هذه الولاية مهد له سبيل نقل الخلافة إلى أسرة أبى سفيان وتثبيتها فى البيت الأموى (٨٥).

كان معاوية يرى نقل حاضرة الخلافة إلى دمشق حين وفد إلى عثمان سنة ٣٤هـ ، وأيقن أن هناك خطراً يواجه الخليفة ، فقال له : " يا أمير المؤمنين انطلق معى إلى الشام قبل أن يهجم عليك من لا قبل لك به ، فإن أهل الشام على الأمر لم يزالوا " لكن عثمان أبى إلا أن يظل فى المدينة(٨٦) .

ولما ول على بن أبى طالب الخلافة ، امتنع معاوية عن مبايعته (٨٧)، وظل واليًا على الشام ، واستطاع معاوية أن يصمد فى نزاعه مع على ، بفضل إخلاص أهل الشام ، فقد أثار للتحكيم بعد واقعة صفين للفرقة بين صفوف جيش على ، على حين جنى معاوية بعد هذه الواقعة ثمار جهوده فى إقليم الشام ، وبقاء أهله على الطاعة والولاء له ، إذ لم تلبث الأحداث أن هيأت الجو لمعاوية تمامًا حين انتهت حياة على بن أبى طالب وتنزل الحسن بن على سنة ٤١هـ عن الخلافة لمعاوية (٨٨).

وهكذا تحققت أطماع معاوية ، فاستقرت له الخلافة وأصبح صاحب السلطان المطلق فى كافة أنحاء الدولة العربية الإسلامية واتخذ دمشق حاضرة لخلافته بعد أن كانت حاضرة ولاية الشام وحدها ، فانتقلت إليها سياسة الملك (٨٩). وحرص معاوية منذ توليته الخلافة على ألا تعيش القبائل العربية فى الشام فى معزل عن أهلها الأصليين ، وبذلك استطاع أن يكون آمنًا فى حاضرة دولته ، ونقل بيت مال الدولة من الكوفة إلى دمشق ، وزاد فى عطاء أهل الشام ، فأطاعوه وظلت دمشق محتفظة بمكانتها كحاضرة طوال العهد الأموى (٩٠).

أدرك العرب منذ أن فتحوا دمشق أن تأمين الناس على أنفسهم وأموالهم أول ما يجب أن يكفل للمحكومين ، وقد جاء ذلك فى كتاب خالد بن الوليد إلى أهل دمشق ، فعاشوا فى كنف ولاة المسلمين فى أمن وطمأنينة ، وقام العرب بحماية الأهالى فى مقابل دفع مبلغ معين يؤديه كل فرد قادر على القتال يسمى الجزية وكانوا يعفون من أدائها إذا اعتنقوا الإسلام ، كما ترك العرب لأهل دمشق الأرض يزرعونها على أن يؤدوا خراجًا عنها (٩١).

كان لانتصار الجيوش العربية على الروم فى بلاد الشام وما تبع ذلك من فتح دمشق أكبر الأثر فى إحياء الصلات القديمة التى كانت تربط بين العرب المقيمين فى دمشق وبين العرب الفاتحين ، وساعدت وحدة الجنس ووحدة اللغة على اندماج الفريقين ، كما أدى الاتصال الاجتماعى بينهما إلى تكوين مجتمع جَديد فى دمشق .

كان طبيعيًا ألا يتخذ هذا المجتمع الجديد شكله النهائى فى بضع سنين ، ذلك لأن العرب غادروا أرضهم إلى أرض جديدة وواجهوا فى دمشق أقوامًا يختلفون عنهم فى اللغة والدين والتقاليد ، وكان لابد لهذا المجتمع الجديد فى دمشق وهو فى دور التكوين أن يتخذ صوراً وأشكالاً متعددة قبل أن يتخذ صورته النهائية نتيجة لاختلاط عناصر ذات لغات وأديان وتقاليد مختلفة (٩٢).

كانت اللغة العربية منتشرة فى دمشق قبل الفتح العربى فقد نشرها العرب الذين كانوا يدينون بالوثنية ، ثم العرب الذين دخلوا فى المسيحية بعدهم . ولما فتح العرب المسلمون دمشق، وهاجرت بعض القبائل العربية إليها زادت العربية انتشاراً ورسوخًا فى هذه المدينة ، واضطر أهلها من غير العرب إلى تعلم العربية لأنها لغة الحاكمين (٩٣).

ومما ساعد على انتشار اللغة العربية فى دمشق أنها لغة الدين الجديد كما أن العرب سعوا إلى جعل اللغة العربية لغة دين وأدب وثقافة . ولم يحارب العرب اللغة اليونانية – لغة السواد الأعظم من سكان دمشق – بل ساروا فى نشر لغتهم سيراً حثيثًا (٩٤).

يعلل بن خلدون(٩٥) انتشار اللغة العربية فى البلاد التى فتحها المسلمون بقوله : " لما هجر الدين اللغات الأعجمية وكان لسان الفاتحين بالدولة الإسلامية عربيًا هجرت كلها فى جميع ممالكها لأن الناس تبع السلطان وعلى دينه ، فصار استعمال اللسان العربى من شعائر الإسلام وطاعة العرب ، وصار اللسان العربى لسانهم حتى رسخ ذلك لغة فى جميع أمصارهم ومدنهم ، وصارت الألسنة الأعجمية دخيلة فيها وغريبة " .

كان من عوامل انتشار اللغة العربية فى دمشق تعريب الدواوين الذى بدأ فى عهد عبد الملك بن مروان ، فقد ظلت الدواوين فى دمشق تكتب باليونانية – لغة أهلها – حتى شرع عبد الملك فى صبغ الدولة بصبغة عربية بعد أن استقرت الأمور فيها ، واتسعت خبرة العرب الذين "انتقلوا من غضاضة البداوة إلى رونق الحضارة ، ومن سذاجة الأمية إلى حزق الكتابة" (٩٦). وجاء ذلك تأكيدًا لسيادة الدولة العربية التى سار عليها بنو أمية .

يذكر الجهشيارى(٩٧) أنه من الأسباب التى حملت الخليفة عبد الملك على تعريب الدواوين أن سرجون بن منصور الرومى – الذى كان يتقد ديوان دمشق فى عهد عبد الملك – أمره الخليفة يومًا بشىء فتثاقل فيه وتوانى عنه ، فعاد لطلبه مرة أخرى ، فرأى تفريطًا وتقصيرًا ، فقال عبد الملك لأبى ثابت سليمان بن سعد الخشنى – وكان يتقلد ديوان الرسائل – أما ترى إذلال سرجون علينا ، وأحسبه قد رأى أن ضرورتنا إليه وإلى صناعته ، أفما عندك حيلة ؟ قال : لو شئت لحولته إلى العربية ، قال له : فافعل ، وقلده عبد الملك جميع دواوين الشام .

بينما يذكر البلاذرى(٩٨) سببًا آخر لتعريب الدواوين فيقول : ظلت دواوين دمشق تكتب باليونانية حتى ولى عبد الملك بن مروان الخلافة ، فلما كانت سنة ٨١هـ أمر بنقل الدواوين إلى العربية ، ذلك أن رجلاً من كتاب الروم احتاج مداداً ليكتب به ، فلم يجد ، فسلك مسلكًا مشينًا أغضب عبد الملك فأمر عبد الملك سليمان بن سعد بنقل الدواوين إلى العربية ، وكافأه فى مقابل ذلك بخراج الأردن سنة .

كان نقل الدواوين إلى العربية بطيئًا ، وقد شرع فيه فى أيام عبد الملك ، واستمر حتى عهد الوليد(٩٩)، ومن المرجح أن يكون هذا هو السبب الذى حدا ببعض المؤرخين أن ينسبوا نقل الدواوين إلى عبد الملك (١٠٠)، بينما ينسبه آخرون إلى الوليد (١٠١).

ساعد تعريب الدواوين على ذيوع اللغة العربية وانتشارها ، فقد أقبل الكتاب من غير العرب على تعلم اللغة العربية حتى يستمروا فى عملهم بالدواوين ، فأصبحت اللغة العربية لغة التدوين والإدارة والسياسة فضلاً عن كونها لغة الدين والأدب ، والثقافة (١٠٢).

انتشر الإسلام بين عرب الشام الذين يقطنون فى دمشق ونواحيها بعد أن توطدت العلاقات بينهم وبين العرب القادمين من الجزيرة العربية ، وحين وفد عمر بن الخطاب إلى الجابية سنة ٨١هـ ، كانت لخم وجذام قد دخلت فى الإسلام(١٠٣) ومن القبائل التى اعتنقت الإسلام بعد الفتح العربى لمدينة دمشق قبيلة غسان وقبيلة بنى كلب(١٠٤) . وكان انتشار الإسلام بين القبائل المسيحية التى تقيم فى منطقة دمشق أكثر من انتشاره بين سكان هذه المدينة (١٠٥).

من العوامل التى ساعدت على انتشار الإسلام فى دمشق وفود نفر قليل من الصحابة والتابعين إلى هذه المدينة وإقامتهم بها وحماستهم لهداية الناس إلى الدين الحنيف (١٠٦).

كما كان للانتصارات الرائعة التى أحرزها العرب فى بلاد الشام أثر كبير فى جعل المسيحيين يعتقدون أن هذه الانتصارات إنما تمت بعون من الله وأن نجاح المسلمين دليل على صدق دينهم (١٠٧).

كما أدى تدهور حال الكنيسة الشرقية من الناحيتين الخلقية والروحية إلى دخول كثير من أهل دمشق دين الإسلام (١٠٨)، إذ كانت الأحزاب الدينية تناوىء وتضطهد بعضها بعضًا ، مما كان له تأثير كبير فى زعزعة أسس العقيدة الدينية عند المسيحيين ، فلم تعد المسيحية الشرقية – التى مزقتها الانقسامات الداخلية وزعزعت أسسها ودخل اليأس فى نفوس أهلها بسبب هذه الشكوك – قادرة على مقاومة هذا الدين الجديد الذى قدم مزايا مادية جليلة فضلاً عن مبادئه الواضحة البسيطة التى لا تقبل الجدل .

وكانت المسيحية فى الشام قد تأثرت بالثقافة اليونانية فتحولت إلى عقيدة محفوفة بمذاهب معقدة مليئة بالشكوك ، وكانت الطبقات العليا يشيع فيها الفساد ، والوسطى مثقلة بالضرائب، ولم يكن للأرقاء أمل فى حاضرهم أو مستقبلهم ، فأزال الإسلام هذه المفاسد والخرافات ، ودعا الناس إلى فعل الخير ونبذ الرذائل وأحل الشجاعة محل الرهبنة ، وآخرى بين المؤمنين ، ووهب الناس إدراكًا للحقائق الأساسية التى تقوم عليها الطبيعة البشرية (١٠٩).

وعلى الرغم من أن تعصب العرب لبنى جنسهم قد أدى فى بادىء الأمر إلى عدم تمتع المسلمين الجدد بالمزايا التى كان يتمتع بها العرب ، فإنهم قد حصلوا على مكانة مرموقة فى المجتمع وهم على ولائهم للقبائل العربية التى كانوا قد تعودوا فى بادىء الأمر الانضواء تحت لوائها . وفى نهاية القرن الأول الهجرى كان المسلمون من غير العرب يتمتعون بنفس المزايا التى كان يتمتع بها العرب (١١٠).

عين الخليفة عمر بن الخطاب فى مدينة دمشق رجالاً عهد إليهم تعليم الذين دخلوا فى الإسلام حديثًا القرآن وتفقيههم فى الدين ، حتى يستطيع المسلمون الجدد أداء شعائرهم الدينية أداءً سليمًا والإلمام بقواعد الدين الجديد (١١١).

وكان دخول أهل دمشق فى الإسلام عن اختيار وإرادة حرة (١١٢). ويدل كتاب الأمان الذى أعطاه خالد بن الوليد لهم سنة ١٥هـ . على أن العرب لم يحاولوا نشر الإسلام فى دمشق بحد السيف ، كذلك كفل العرب لأهل الذمة الحرية الدينية ، وسمحوا لهم بأن يؤدوا شعائرهم وفق مذهبهم اليعقوبى أو النسطورى (١١٣).

وصف خطط دمشق وتطورها :

تتمتع دمشق بمركز جغرافى فريد فى نوعه ، إذ تقع فى مركز متوسط بين الشرق والغرب كما أنها نقطة يلتقى بها الطريق الذى يخترق سورية من الشمال إلى الجنوب بنهر بردى الذى يجرى من الشرق إلى الغرب (١١٤). وقد أدرك الإمبراطور البيزنطى يوليان (Julian) (٣٦١ – ٣٦٣م) أهمية موقعها فكان يسميها " عين الإمبراطورية فى سائر إقليم الشرق"(١١٥). وقد وصفها الخليفة عمر بن الخطاب فى كتاب بعث به إلى أبى عبيدة عامر بن الجراح بأنها "حصن الشام وبيت مملكتهم " (١١٦).

أفاض الرحالة العرب فى وصف مدينة دمشق ، فذكر اليعقوبى(١١٧) أنها " مدينة الشام فى الجاهلية والإسلام وليس لها نظير فى جميع مدن الشام " . كما ذكر ابن جبير(١١٨) أنها "جنة الشرق ... وهى خاتمة بلاد الإسلام التى استقريناها وعروس المدن التى اجتلیناها ... قد أحدقت البساتين بها إحداق الهالة للقمر ، واكتنفتها اكتناف الكمامة للزهر ، وامتدت بشرقيها غوطتها الخضراء على امتداد للبصر " . وذكر ياقوت أنها(١١٩) " جنة الأرض لحسن عمارة ونضارة بقعة وكثرة فاكهة ونزاهة رقعة " .

شيد الرومان إبان حكمهم لمدينة دمشق (١٠٥ - ٣٩٥م) سوراً لها جرياً على سياستهم فى تحصين المدن . وكان هذا السور مستطيلاً يبلغ ارتفاعه عشرين قدمًا تقريبًا ، وسمكه خمسة عشر قدمًا ، وتوازى جوانبه شوارع المدينة المستقيمة عدا جانبه الشمالى الذى كان يحازى نهر بردى (١٢٠).

كان يعلو أسوار دمشق أبراج بارزة مربعة الشكل يبعد كل برج عن الآخر مسافة قدرها خمسين قدمًا تقريبًا ، وتيسر هذه الأبراج للمدافعين وبخاصة الرماة سبل الدفاع عن المدينة . وكان يوجد فى عدة مواضع من السور بعض الأبنية الصغيرة وبيوت للسكنى يقيم بها أفراد الحامية التى تعهد إليها حراسة المدينة وأسوارها (١٢١).

كانت أسوار دمشق مبنية بالحجارة الضخمة التى لا يزعزعها شىء ، وكان يصعب اقتحامها وهدمها للدخول منها على الرغم مما تعرضت له فيما سلف من هجمات الفرس أو البيزنطيين . ولم يستطع العرب أثناء محاولتهم فتح دمشق اجتيازها إلا بعد لأى وعناء(١٢٢).

وظلت هذه الأسوار تحمى المدينة طوال عهد الراشدين والأمويين الذين حافظوا عليها . وذكر البلاذرى(١٢٣) أن أسوار دمشق استمرت قائمة حتى هدمها عبد الله بن على بن عبد الله بن العباس بعد زوال العهد الأموى ، بينما يذكر ابن كثير الدمشقى(١٢٤) أنها هدمت سنة ١٢٧هـ حين أرسل مروان بن محمد جيشًا إلى دمشق لإخماد ثورة أهلها .

كان لمدينة دمشق قبل الفتح العربى سبعة أبواب رئيسية صفحت بالحديد لصد غارات الأعداء . ولما كان الجانب الشمالى من المدينة أكثر جهاتها تحصينًا لوجود النهر حوله لذلك أنشىء به ثلاثة أبواب فقط (١٢٥). وأبواب دمشق هى :

١ - الباب الشرقى : وسمى بذلك لوقوعه شرق المدينة ، وقد شُيد هذا الباب إبان الحكم الرومانى فى مستهل القرن الثالث الميلادى ، وكان يتألف من ثلاثة أبواب الأوسط منها كبيرة أحجاره مصقولة ، وكان يوجد على جانبيه بابان صغيران ، وكان الجند وقوافل الجمال وبواب الحمل تمر من الباب الأوسط ، أما البابان الآخران فكانا يستعملان لمرور الناس ، أحدهما للدخول والآخر للخروج (١٢٦). وقد نزل خالد بن الوليد بهذا الباب أثناء حصار العرب لمدينة دمشق (١٢٧).

٢ – باب توما : وينسب إلى توما حاكم دمشق قبيل الفتح العربى . وكان هذا الباب يقع شمال دمشق (١٢٨)، ونزل به عمرو بن العاص أثناء حصار العرب لمدينة دمشق (١٢٩).

٣ – باب السلامة : ويقع فى شمال دمشق وسمى بذلك تفاؤلاً ، لأنه ليس من السهولة الهجوم على المدينة من ناحيته لما دونه من الأنهار والأشجار (١٣٠).

٤ – باب الفراديس : يقع فى شمال دمشق وهو عبارة عن باب ضخم مستطيل ، وينسب إلى قرية تسمى الفراديس (١٣١).

٥ – الباب الصغير : وسمى بذلك لأنه أصغر أبواب دمشق ويقع جنوبها (١٣٢)، وقد دخل يزيد بن أبى سفيان دمشق من هذا الباب (١٣٣).

٦ – باب كيسان : ويقع جنوب الباب الصغير وينسب إلى كيسان مولى معاوية بن أبى سفيان ، وكان يسمى باب يونس قبل الفتح العربى (١٣٤).

٧ – باب الجابية : ويقع غرب دمشق وسمى بذلك نسبة إلي قرية الجابية . وكان يتألف من ثلاثة أبواب ، الأوسط منها كبير وعن جانبيه بابان صغيران ، ويناؤه بالحجارة الضخمة، وكان يخرج من الأبواب الثلاثة ، ثلاثة طرق إلى الباب الشرقى – الأوسط وكان يستعمل لمرور الناس ، والآخران لمرور الركبان (١٣٥)، وقد نزل على هذا الباب أبو عبيدة عامر بن الجراح أثناء حصار العرب لدمشق (١٣٦).

لم تتغير المعالم الرئيسية لمدينة دمشق بعد الفتح العربى عما كانت عليه فى العصر الرومانى ، ولعل السبب فى ذلك يرجع إلي وقوعها عند نقطة يلتقى بها الطريق الذى يخترق قلب سورية من الشمال إلى الجنوب ويعبر نهر بردى الذى يجرى من الشرق إلى الغرب ، ومن ثم انتظمت على هذا النحو طرقات المدينة (١٣٧).

كانت دمشق عبارة عن مدينة مستطيلة الشكل (١٣٨)، تمتد على ضفة نهر بردى اليمنى جنوبًا ، وكان يوجد فى الركن الشمالى الغربى من المدينة قلعة حصينة زالت ، وظل مكانها شاغرًا ، وقد توالت هجرات القبائل العربية إلى مدينة دمشق عقب الفتح العربى سنة ١٥هـ (٦٣٦م) أقام بعضها فى المنطقة المجاورة لدمشق ، مما أدى إلى اتساع مساحة هذه المدينة وكثرة أحيائها ، واتخذت القبائل التى لم تستقر فى دمشق منازل لها فى ظاهرها حتى أصبحت هذه المنازل أشبه بقرى متصلة بعضها ببعض ، وترتب على ذلك اتصال العمران من

مدينة دمشق حتى القرى المحيطة بها (١٣٩). كذلك أدت كثرة المهاجرين من العرب إلى هذه المدينة إلى زيادة عدد دورها ، وكان لذلك تأثير كبير على شوارعها المنسقة المتوازية ، ففقدت كثيراً من طابعها (١٤٠).

استقر العرب عقب فتحهم دمشق فى بادىء الأمر فى الطرف الشمالى من المدينة ، وأقاموا فى الدور التى هجرها الروم وبعض سكان دمشق عقب الفتح بالقرب من نهر بردى (١٤١)، وأقام بعض الصحابة فى دور على مقربة من باب توما (١٤٢) شمال دمشق . ثم أنشأ العرب خططهم فيما بعد فى الجهة الغربية من دمشق . واتخذ معاوية قصره (الخضراء) مجاوراً لخطط أصهاره بنى كلب ، واتخذ بنو أمية دوراً مجاورة لقصر الخضراء (١٤٣). أما المسيحيون واليهود فاستقر مقامهم فى الجهة الشرقية من دمشق (١٤٤).

لما نزل العرب دمشق احتفظوا بعاداتهم القبلية ، وتجمعوا فى المدينة حسب تقسيمهم القبلى، فكان لكل قبيلة خطة أو درب أو حى خاص بها يضم منازلها وأسواقها ومساجدها ومنازلها ، وكان أهل دمشق يسمون هذه الأحياء أو الخطط دروبًا – وكان يفصل كل درب عن الآخر سور ضمن الأسوار القائمة حول المدينة ، ومن ثم تحولت هذه الدروب إلى مدن صغيرة مسورة داخل دمشق ، وكانت أبواب هذه الدروب تغلق عند نشوب الفتن والاضطرابات الداخلية، فتنقطع بإغلاقها المواصلات بين دروب المدينة (١٤٥).

لم يتوسع معاوية بن أبى سفيان فى تجميل مدينة دمشق بالعمائر ، وإنما قصر اهتمامه على بناء قصره الذى عرف بالخضراء ، كما أن يزيد بن معاوية لم يبذل جهداً فى تحسين المدينة وتجميلها (١٤٦).

ولما انتقلت الخلافة إلى الفرع المروانى من بنى أمية تجلت الرغبة فى العناية بدمشق على اعتبار أنها عاصمة الأمويين ، ومن ثم كثرت بها العمائر كما أنشأ الخلفاء بها الحصون المَنيعة والقلاع ذات القباب البيضاء والقصور والجوامع الفخمة ، وظهرت دمشق فى عهد الوليد بن عبد الملك فى أجمل مظهر ، بما شيده فيها من منشآت وعمائر بديعة (١٤٧)، فقد كان الوليد مولعًا بالعمائر ، حتى أن الناس كانوا يلتقون فى أيامه ، فيسأل بعضهم بعضًا الأبنية والعمارات (١٤٨).

لم يبذل الخلفاء المتأخرون من بنى أمية جهوداً كبيرة لتجميل مدينة دمشق بل إن بعضهم لم يتخذ دمشق مقراً له ، فأقام سليمان بن عبد الملك فى مدينة الرملة (١٤٩)، على حين أقام هشام بن عبد الملك فى الرصافة (١٥٠)، وكان بعض الخلفاء الأمويين يقضى شطراً كبيراً من السنة فى قصورهم بالبادية (١٥١). ومما لا شك فيه أن ترك الأمويين دمشق إلى الصحراء أدى إلى زوال مكانة هذه المدينة (١٥٢).

كان أهم شىء يميز المدينة الإسلامية – المسجد الجامع – فإنشاؤها يظهر طابعها الإسلامى ، وقد أمر عمر بن الخطاب حين قدم إلى الشام سنة ١٨ هـ ألا يتخذ فى المدينة سوى مسجد جامع واحد ، وأراد عمر بذلك المسجد الذى تقام فيه الجمعة ، ولم ينه عن اتخاذ المساجد التى لا تقام فيها الجمعة (١٥٣).

اكتفى العرب بعد فتح دمشق بمسجد متواضع كان يوجد إلى جوار كنيسة القديس يحنا ، وتركوا الكنيسة كلها للنصارى يؤدون فيها شعائرهم الدينية ، أما القول بأن(١٥٤) العرب استولوا عقب الفتح مباشرة عى نصف الكنيسة لإقامة شعائرهم الدينية ، وتركوا النصف الآخر للنصارى مكافأة لهم على استسلامهم ، وأن المسلمين والنصارى كانوا يدخلون من باب واحد هو باب الكنيسة القبلى ، فيأخذ المسلمون يمينهم إلى القسم المخصص لهم ، على حين ينصرف النصارى إلى جهة الغرب لأداء شعائرهم الدينية فهذه كلها روايات متأخرة وغير صحيحة(١٥٥).

كان المسجد القديم بدمشق يجاور قصر الخضراء(١٥٦) وكنيسة القديس يحنا ، يؤيد ذلك ما كتبه الأسقف الغالى أركولف (Arculf) الذى زار الشام فى خلافة معاوية إذ قال : كان فى دمشق كنيسة عظيمة بنيت لتمجيد القديس يحنا المعمدان وهناك أيضاً بيت يؤدى العرب فيه شعائرهم الدينية (١٥٧).

وتوضح الروايات العربية التى تصف الحوادث التى وقعت بعد ذلك أن المسجد القديم كان منفصلاً تمام الانفصال عن الكنيسة ، وأن قصر الخضراء كان مجاوراً لهما .

كان يوجد فى دمشق سقيفة مستطيلة ذات عمد تسمى جيرون(١٥٨) ، يرجع تاريخها إلى العصر الرومانى ، وكان الباب الشرقى للمسجد الجديد الذى شيده الوليد بن عبد الملك ينسب إليها ، واستعملت قطع من تلك السقيفة فى بناء المسجد الجديد (١٥٩).

ومن المرجح أن جيرون هو المسجد القديم (١٦٠)، وليس أدل على ذلك مما أورده الطبرى(١٦١) فقد ذكر أن اليوم الذى اجتمع فيه المسلمون لاختيار خليفة جديد عقب وفاة معاوية الثانى سنة ٦٤هـ عرف باسم يوم جيرون نسبة للمسجد الذى اختير فيه الخليفة .

حاول معاوية بن أبى سفيان بعد أن ازداد عدد المسلمين فى دمشق توسيع بناء المسجد الذى ضاق بالمصلين ، فطلب من نصارى دمشق النزول عن كنيسة القديس يحنا ، فرفضوا إجابة طلبه (١٦٢)، وظل المسجد على حاله حتى آلت الخلافة إلى عبد الملك بن مروان سنة ٦٥هـ . فعاد يطلب من نصارى دمشق النزول عن هذه الكنيسة ، فأتوا إليه بكتاب خالد بن الوليد الذى تضمن أن كنائسهم لا تهدم ولا تسكن ، فعرض عليهم عبد الملك مالاً كثيراً ليبنوا كنيسة مثلها فى أى موضع يختارونه بدمشق ، فأبوا أن يسلموها إليه (١٦٣).

ولما ولى الوليد بن عبد الملك الخلافة سنة ٨٦هـ (٧٠٥م) وجد أن المسلمين فى دمشق فى أشد الحاجة إلى مسجد كبير بعد أن أصبح المسجد الأموى بدمشق لا يتسع للمصلين ، فجمع زعماء النصارى فى هذه المدينة وعرض عليهم رغبته فى إدماج كنيسة يحنا فى المسجد ، وأبدى لهم استعداده فى أن يعوضهم عنها بكنيسة أخرى فى أى موضع شاءوا بدمشق أو يدفع لهم تعويضًا ماليًا عنها ، ويذل لهم أربعين ألف دينار فأبوا ، فقال لهم الوليد : لئن لم تفعلوا لأهدمنها ، فقال بعضهم : يا أمير المؤمنين إن من هدم كنيستنا جن وأصابته عاهة ، فخرج الوليد ، ومعه معول ، فقال : أنا أول من يجن فى الله ، وبدأ الهدم بمعوله ، وتبعه العمال، وأكملوا هدمها (١٦٤).

شرع الوليد بن عبد الملك فى إعادة بناء مسجد دمشق سنة ٨٧هـ (١٦٥)، واستمر بناؤه تسع سنين ، لكنه توفى دون أن يتم بناءه فأتمه سليمان بن عبد الملك سنة ٩٦هـ (١٦٦)، ولما ولى عمر بن عبد العزيز الخلافة طلب منه نصارى دمشق أن يعيد كنيستهم إليهم وقالوا له : يا أمير المؤمنين قد علمت حال كنيستنا ، ورفعوا إليه العهد الذى تضمن أن كنائسهم لا تهدم ولا تسكن . فأمر عمر بن عبد العزيز برد كنيستهم إليهم ، فأعظم المسلمون ذلك ، وقالوا : أنرد إليهم مسجدنًا وقد أدينا فيه الصلاة وجمعنا فيه ثم يهدم ويعاد كنيسة ؟ (١٦٧).

عرض الفقهاء من أهل دمشق على النصارى أن يعطوا جميع كنائس الغوطة التى أخذت عنوة وصارت فى أيدى المسلمين – على أن ينزلوا عن كنيسة القديس يحنا ويمتنعوا عن

المطالبة بها ، فرضوا بذلك (١٦٨)، وكتب لهم عمر بن عبد العزيز سجلاً بأنهم آمنون على كنائسهم بدمشق ، والكنائس والبيارات خارجها فى الغوطة لا تخرب ، وليس لأحد من المسلمين عليها سلطان وأشهد لهم شهوداً على ذلك (١٦٩).

كان للمسجد الأموى بدمشق ثلاث مقصورات الأولى مقصورة معاوية ، وتعرف بالمقصورة الصحابية ، بناها وقاية لنفسه من المتآمرين (١٧٠)، وإلي جانب هذه المقصورة خزانة محلاة بالرسوم فيها المصحف الذى وجهه عثمان بن عفان إلى الشام والمقصورة الثانية فيها منبر الخطبة ومحراب الصلاة ، وفى الجانب الغربى من المسجد توجد مقصورة صغيرة (١٧١).

زينت جدران المسجد بالفسيفساء المذهب والملون وغطيت أرضه بالمرمر . أما عمده فكانت من الرخام المختلف الألوان ، ورصع محرابه بالجواهر الثمينة ، ونقش على جدرانه آيات قرآنية(١٧٢)، وينسب إلى الوليد المئذنة الشمالية المعروفة بمئذنة العروس (١٧٣)، وكان المسجد يضاء بكثير من القناديل المصنوعة من الذهب والفضة (١٧٤)، وكتب على حائط المسجد بالذهب: ربنا الله لا نعبد إلا الله ، أمر ببناء هذا المسجد وهدم الكنيسة التى كانت فيه ، عبد الله الوليد أمير المؤمنين فى ذى الحجة سنة ٨٧هـ (١٧٥).

كان لمسجد دمشق ستة أبواب منها أربعة أبواب رئيسية ، وهى باب الزيادة فى الناحية القبلية من المسجد . وكان قصر معاوية « الخضراء » إلى يسار الخارج منه (١٧٦). وباب الساعات فى الناحية الشرقية من المسجد . وفى الناحية الغربية باب البريد . وفى الناحية الشمالية باب الناطفيين (١٧٧).

أكسب المسجد الأموى مدينة دمشق شهرة كبيرة ، وقد انفق الوليد فى بنائه أموالاً كثيرة ، وبلغ من استياء بعض أهالى دمشق من إنفاق هذه الأموال أن قال بعضهم : أينفق فيؤنا فى نقش الخشب وتزويق الحيطان ، ثم كأنه قد حرمنا أعطياتنا ، واعتل علينا بقلة المال ؟ فلما بلغ الوليد ذلك جمع أهل دمشق ، وقال لهم : قد بلغنى مقالتكم وليس الأمر على ما ظننتم ، ألا وأنى أمرت بإحصاء ما فى بيوت أموالكم ، فنصيب فيه عطاءكم ست عشرة سنة مستقبلية من يومى هذا (١٧٨).

وفى الحق يعد مسجد دمشق آية من آيات الفن العربى والبيزنطى ، وأن فى هذا الوصف الذى ذكره ياقوت (١٧٩)، لمثلاً حياً وبرهاناً ناطقاً على ما بلغه هذا المسجد من إتقان وبهاء هو

جامع المحاسن ، كامل الغرائب ، معدود إحدى العجائب ، قد تزود بعض فرشه بالرخام ، وألف على أحسن تركيب ونظام ... يكاد يقطر ذهبًا ويشتعل لهبًا .

اتخذ معاوية بن أبى سفيان قصر الخضراء مقرًا له ، ومركزًا لإدارة شئون الحكم ، وكان هذا القصر من المبانى التى شيدت من عصر الرومان فجدده معاوية إبان ولايته على الشام فى عهد الخليفة عثمان بن عفان ، وبناه معاوية بالطوب أولاً ثم أعاد معاوية بناء الخضراء بالحجارة ، وزينه بالذهب والمرمر والفسيفساء وأحاطه بالحدائق الغناء (١٨٠).

ظل قصر الخضراء مركزًا لإدارة الدولة ، ومقرًا للخليفة فى عهد يزيد بن معاوية(١٨١) وخليفته معاوية الثانى ، ولما ولى مروان بن الحكم الخلافة سنة ٦٤هـ تزوج من فاختة بنت أبى هاشم بن عقبة – وكانت زوجة ليزيد بن معاوية – فاتخذ الخضراء مقرًا له (١٨٢).

ولما آلت الخلافة إلى عبد الملك بن مروان سنة ٦٥هـ كانت الخضراء ملكًا لخالد بن يزيد بن معاوية ، فاشتراها منه الخليفة بأربعين ألف دينار ، واتخذها دارًا للخلافة (١٨٣). وظلت على هذه الحال فى عهد الوليد بن عبد الملك . فلما ولى سليمان بن عبد الملك الخلافة سنة ٩٦هـ رأى أن يتخذ مقرًا آخر له بدلاً من الخضراء التى تداعى بناؤها ، فشيد قصرًا بدرب محرز فى موضع سقاية جيرون وجعل له قبة صفراء كالقبة الخضراء التى كانت بدار الخلافة ، واتخذ سليمان من هذا القصر – الذى عرف بالصفراء – مقرًا له (١٨٤). وصار هذا القصر دارًا للخلافة (١٨٥). حتى اتخذ هشام بن عبد الملك الرصافة مقرًا له بدلاً من دمشق (١٨٦).

اضطربت الأمور فى دمشق بعد وفاة هشام بن عبد الملك سنة ١٢٥هـ وتولية الوليد بن يزيد الخلافة الذى قضى معظم أيام خلافته فى البادية ، وبقى فى الخلافة سنة وشهرين ، ثم قُتل لسوء سيرته سنة ١٢٦هـ(١٨٧) وخلفه يزيد بن الوليد الذى توفى بعد خمسة أشهر ، وبويع أخوه إبراهيم ، وفى عهده تجلى الاضطراب فى البيت الأموى ، فلم يكن هناك إجماع على توليته ، فكان ناس يسلمون عليه بالخلافة وناس بالإمارة وناس لا يسلمون عليه بواحدة منهما (١٨٨). وانتهى الأمر بعزله وقتله على يد مروان بن محمد (١٨٩).

ولما آلت الخلافة إلى مروان بن محمد تعصب للقيسية وطالب اليمنية بدم الوليد بن يزيد ، فثار عليه يزيد بن خالد القسرى بدمشق ، وانضمت إليه اليمنية ، فأرسل مروان إلى دمشق جيشًا أخمد الثورة ، وخلصت له دمشق ، كما قضى على ثورات أخرى قام بها اليمنية فى بلاد الشام (١٩٠).

ولم يكد يستقر الأمر لمروان بن محمد فى بلاد الشام حتى خرج عليه سليمان بن هشام بن عبد الملك ، ودعا أهلها إلى خلعه وانضمت إليه اليمنية ، فسار إليه مروان ، وأوقع به الهزيمة(١٩١).

ولما كانت أكثر عرب الشام من العنصر اليمنى ، فقد آثر مروان بن محمد أن يتخذ حران حاضرة لدولته بدلاً من دمشق حيث كانت تقيم القيسية عماد دولته (١٩٢). وضعف منذ ذلك الوقت شأن دمشق كحاضرة للخلافة الأموية .

أدعو الله تعالى أن يجعل أعمالنا خالصة لوجهه الكريم وأن ينفعنا بها يوم الدين ويغفر لنا خطايانا أنه سميع مجيب الدعاء وآخر دعوانا أن الحمد الله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

الهوامش

1 - Hitti : History of Syria, p. 382 .

2 - Kremer: Orient Under. The caliphs, p. 133 - 134 .

3 - Encyc of Islam, Art Damascus .

4 - Hitti : History of Syria, p. 398 - 396 .

٥ – لما هاجرت الأزد من اليمن على أثر انكسار سد مأرب استقرت إحدى قبائلها بجوار ماء يقال له غسان بالشام ، فسموا " أزدغسان " (زيدان : العرب قبل الإسلام ص ١٨٤) .

6 - Hitti : History of the Arabs, p. 78 .

٧ – الضجاعمة من ولد سليح بن عمرو بن حلوان من قضاعة . وقد هاجرت قبيلة قضاعة إلى الشام حوالى سنة ٢٣٠م أى نهاية تدمر .

(Susseeud : Les Arabs en Syria avant l Islam, p. 9)

(Oleary : Arabia befor Muhammad, p. 161 - 162)

٨ – نلدكه : أمراء غسان ، ص ٥٢ – ٥٤ . الجابية قرية من أعمال دمشق (ياقوت : معجم البلدان ، جـ٢، ص ٩١) .

9 - Hitti : History of Syria, p. 78 .

10 - Hitti : History of Syria, p. 78 .

١١ – نلدكه : أمراء غسان ، ص ١١ .

١٢ – نلدكه : أمراء غسان ، ص ١١ .

13 - Hitti : History of the Arabs, p. 69 .

14 - Hitti : History of the Arabs, p. 79 - 80 .

15 - Hitti : History of the Arabs, p. 80 .

١٦ – نلدكه : أمراء غسان ، ص ٣٤ .

17 - Lammens : Etudes sur le regne du calife Moawia, p. 286 - 289 .

١٨ – نلدكه : أمراء غسان ، ص ٤٦ .

19 - Hitti : History of the Arabs, p. 80 .

٢٠ – كان اليعاقبة يقولون بأن للمسيح طبيعة واحدة لها كل الصفات البشرية والإلهية ، بينما يرى أتباع المذهب الملكانى بأن للمسيح طبيعتين بشرية وإلهية لا اختلاط بينهما ، وكل طبيعة تحتفظ بخصائصها. ويرى هرقل أن المسيح يحقق الجانب الإنسانى والجانب الإلهى بقوة إلهية إنسانية واحدة (أرنوك :

الدعوة إلى الإسلام ، ص ٥٢) .

٢١ – حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسى ، جـ١ ، ص ٢١٥ .

٢٢ – أرنولد : الدعوة إلى الإسلام ، ص ٢٣ .

٢٣ – الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ، جـ٣ ، ص ١٨٥ .

24 - Muir, The Caliphate, p. 15 .

٢٥ – الكامل فى التاريخ ، جـ٢ ، ص ٢٥٣ .

٢٦ – ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، جـ٢ ، ص ٢٥٣ .

٢٧ – ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، جـ٢ ، ص ٢٥٤ .

٢٨ – أبنى : موضع بالشام جهة البلقاء ويقال أنها قرية مؤتة (ياقوت : معجم البلدان ، جـ١ ، ص ١٩٧) .

٢٩ – المقريزى : إمتاع الأسماع ، جـ١ ، ص ٥٤٠ .

٣٠ – أرنولد : الدعوة إلى الإسلام ، ص ٤٦ .

٣١ – سرور : الحياة السياسية فى الدولة العربية الإسلامية ص ٤٢ .

٣٢ – الواقدى : فتوح الشام ، جـ١ ، ص ٢ .

٣٣ – البلاذرى : فتوح البلدان ، ص ١١٤ .

٣٤ – الواقدى : فتوح الشام ، جـ١ ، ص ٣ .

٣٥ – البلاذرى : فتوح البلدان ، ص ١١٤ – ١١٥ ؛ ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، جـ٢ ، ص ١٥٥ .

٣٦ – الواقدى : فتوح الشام ، جـ١ ، ص ٤ – ٥ .

٣٧ – الواقدى : فتوح الشام ، جـ١ ، ص ٦ .

38 - Muir, The Caliphate, p. 66 .

٣٩ – البلاذرى : فتوح البلدان ، ص ١١٦ .

40 - Muir, The Caliphate, p. 66 .

٤١ – تاريخ اليعقوبى : جـ١ ، ص ١١٢ .

٤٢ – البلاذرى : فتوح البلدان ، ص ١١٦ – ١١٧ .

٤٣ – البلاذرى : فتوح البلدان ، ص ١١٧ – ١١٨ .

٤٤ – الواقدى : فتوح الشام ، جـ ١ ، ص ٢١ .

45 - Muir, The Caliphate, p. 70 - 71 .

٤٦ – Muir, The Caliphate, p. 71 : (المحاضر الإسلامية ، م ٢) .

٤٧ – الواقدى : فتوح الشام ، جـ١ ، ص ٥٢ .

٤٨ – الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ، جـ٣ ، ص ٤٣٤ .

٤٩ – البلاذرى : فتوح البلدان ، ص ١٢٢ .

٥٠ – البلاذرى : فتوح البلدان ، ص ١٢٤ .

٥١ – تاريخ اليعقوبى ، جـ٢ ، ص ١١٣ .

٥٢ – البلاذرى : فتوح البلدان ، ص ١٢٧ .

٥٣ – ابن بطريق : التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق ، جـ٢ ، ص ١٥ .

٥٤ – الطبرى : تاريخ الأمم والملك ، جـ٣ ، ص ٤٣٥ .

٥٥ – البلاذرى : فتوح البلدان ، ص ١٢١ .

٥٦ – ابن حجر : الإصابة فى تمييز الصحابة ، جـ٢ ، ص ٩٨ .

57 - Muir, The Caliphate, p. 93 .

٥٨ – الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ، جـ٣ ، ص ٤٣٩ .

٥٩ – ابن عساكر : التاريخ الكبير ، جـ١ ، ص ١٥٢ .

٦٠ – الباذرى : فتوح البلدان ، ص ١٢٨ .

٦١ – البلاذرى : فتوح البلدان ، ص ١٢٨ .

٦٢ – البلاذرى : فتوح البلدان ، ص ١٢٨ .

٦٣ – البلاذرى : فتوح البلدان ، ص ١٢٨ .

٦٤ – ابن عساكر : التاريخ الكبير ، جـ١ ، ص ١٥٥ .

65 - Encyc. Of Islam, Art Damascus .

٦٦ – البلاذرى : فتوح البلدان ، ص ١٢٩ .

٦٧ – محمد بن سعد : كان كاتبًا للواقدى وكان راوية . (فتوح البلدان البلاذرى : تحقيق صلاح الدين المنجد ، جـ١ ، ص ١٨) .

٦٨ – الواقدى : فتوح الشام ، جـ١ ، ص ٦٤ .

٦٩ – البلاذرى : فتوح البلدان ، ص ١٤١ .

70 - Muir, The Caliphate, p. 129 - 130 .

71 - Muir, The Caliphate, p. 129 - 130 .

٧٢ – البلاذرى : فتوح البلدان ، ص ١٤٢ .

٧٣ – البلاذرى : فتوح البلدان ، ص ١٢٩ .

٧٤ – الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ، جـ٣ ، ص ٦٥ .

75 - Muir : The Caliphate, p. 130 .

76 - Muir : The Caliphate, p. 136 .

٧٧ – محمد جمال الدين سرور : الحياة السياسية فى الدولة العربية الإسلامية ، ص ٤٦ .

٧٨ – ابن عساكر : التاريخ الكبير ، جـ١ ، ص ١٥٠ – ١٥١ .

٧٩ – المد : ربع الصاع ، والصاع مكيال لأهل المدينة (الكرملى : القفو العربية ص ٣٩) .

٨٠ – البلاذرى : فتوح البلدان ، ص ١٣٠ – ١٣١ .

٨١ – البلاذرى : فتوح البلدان ، ص ١٥٨ .

٨٢ – حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسى ، جـ١ ، ص ٥٢٥ .

٨٣ – البلاذرى : فتوح البلدان ، ص ١٣٠ .

٨٤ – ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، جـ٣ ، ص ٤٤ – ٤٥ .

٨٥ – محمد جمال الدين سرور : الحياة السياسية فى الدولة العربية الإسلامية ، ص ٥٩ .

٨٦ – الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ، جـ٤ ، ص ٣٤٥ .

٨٧ – الدينورى : الأخبار الطوال ص ٢٢٠ .

٨٨ – الدينورى : الأخبار الطوال ، ص ٢٢٠ .

٨٩ – فلهاوزن : تاريخ الدولة العربية ، ص ١٢٦ .

٩٠ – محمد جمال الدين سرور : الحياة السياسية فى الدولة العربية الإسلامية ، ص ٩٤ .

٩١ – أرنولد : الدعوة إلى الإسلام ، ص ٢٣ .

٩٢ – فيصل شكرى : المجتمعات الإسلامية فى القرن الأول الهجرى ، ص ٦٧ .

٩٣ – فيصل شكرى : المجتمعات الإسلامية ، ص ٤٧ – ٤٩ .

٩٤ – كرد على : الإسلام والحضارة العربية جـ ١ ، ص ١٢٢ .

٩٥ – ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ، جـ١ ، ص ٣٦ .

٩٦ – ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ، جـ١ ، ص ٢٠٣ .

٩٧ – كتاب الوزراء والكتاب ، ص ٤٠٤ .

٩٨ – كتاب فتوح البلدان ، ص ٢١٠ .

99 - Hitti : History of the Arabs, p. 117 .

١٠٠ – الجهشيارى : الوزراء والكتاب ص ٢٤ .

١٠١ – تاريخ بن الوردى : جـ١ ، ص ١٩٥ .

١٠٢ – كرد على : الإسلام والحضارة العربية ، جـ١ ، ص ١٧٢ .

١٠٣ – ابن عساكر : التاريخ الكبير ، جـ١ ، ص ٢٧٢ .

١٠٤ – أرنولد : الدعوة إلى الإسلام ، ص ٤٧ – ٤٨ .

١٠٥ – فلهاوزن : تاريخ الدولة العربية ، ص ١٢٧ .

١٠٦ – الدورى : مقدمة فى صدر الإسلام ، ص ٧٩ .

١٠٧ – أرنولد : الدعوة إلى الإسلام ، ص ٦٩ – ٧٠ .

١٠٨ – أرنولد : الدعوة إلى الإسلام ، ص ٦٩ – ٧٠ .

١٠٩ – أرنولد : الدعوة إلى الإسلام ، ص ٦٩ .

١١٠ – أرنولد : الدعوة إلى الإسلام ، ص ٦٩ .

١١١ – نفس المصدر ، ص ٥٠ – ٥١ .

١١٢ – فلهاوزن : تاريخ الدولة العربية ، ص ١٢٧ .

١١٣ – أرنولد : الدعوة إلى الإسلام ، ص ٥٤ .

114 - Charlesworth : Trade Routes of the Roman Empire, p. 38 .

115 - Kremer : Orient under the Caliphs, p. 139 .

١١٦ – الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ، جـ٣ ، ص ٤٣٧ .

١١٧ – كتاب البلدان ، ص ٣٢ .

١١٨ – رحلة ابن جبير : ص ٢٤٨ – ٢٤٩ .

١١٩ – معجم البلدان : جـ٢ ، ص ١٦٤ .

120 - Kremer : Orient under the Caliphs, p. 141 .

121 - Kremer : Orient under the Caliphs, p. 141 .

١٢٢ – البلاذرى : فتوح البلدان ، ص ١٢٧ .

١٢٣ – البلاذرى : فتوح البدان ، ص ١٣٢ .

١٢٤ – البداية والنهاية ، جـ١ ، ص ٢٣ – ٢٤ .

125 - Kremer : Orient under the Caliphs, p. 141 .

١٢٦ – ابن عساكر : التاريخ الكبير ، جـ١ ، ص ٢٦٢ .

١٢٧ – ابن بطريق : التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق ، جـ٢ ، ص ١٥ .

١٢٨ – ابن عساكر : التاريخ الكبير جـ١ ، ص ٢٦٢ .

١٢٩ – ابن كثير الدمشقى : البداية والنهاية ، جـ٢ ، ص ٢٠ .

١٣٠ – ابن عساكر : التاريخ الكبير ، جـ١ ، ص ٢٦٢ .

١٣١ – ابن عساكر : التاريخ الكبير ، جـ١ ، ص ٢٦٢ .

١٣٢ – ابن عساكر : التاريخ الكبير ، جـ١ ، ص ٢٦٢ .

١٣٣ – ابن كثير : البداية والنهاية ، جـ٧ ، ص ٢٠ .

١٣٤ – ابن عساكر : التاريخ الكبير ، جـ١ ، ص ٢٦٣ .

١٣٥ – ابن عساكر : التاريخ الكبير ، جـ١ ، ص ٢٦٢ – ٢٦٣ .

١٣٦ – ابن البطريق : التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق ، جـ٢ ، ص ١٥ .

١٣٧ – Encyc. Of Islam, , Art Damascus – كان الشارع الرئيسى فى دمشق اسمه " المستقيم " وكان طوله ١٦٠٠ متر ويمتد من شرق المدينة إلى غربها ويضم على جانبيه ممران أحدهما للمشاة والآخر للركبان .

138 - Muir : The Caliphate, p. 99 .

١٣٩ – ابن عساكر : التاريخ الكبير ، جـ١ ، ص ٢٤٣ – ٢٤٤ .

١٤٠ – ابن عساكر : التاريخ الكبير ، جـ١ ، ص ٢٤٣ – ٢٤٤ . يذكر البلاذرى أن الناس لما اجتمعوا لتشييع جنازة عبد الملك بن مروان وجد الوليد بن عبد الملك أنهم لا يستطيعون السير فى الجنازة بسبب بيت يعترض الطريق ، فأمر بهدمه . (أنساب الأشراف جـ١١ ، ص ٣١٥) .

١٤١ – ابن عساكر : تاريخ دمشق ، جـ١ ، ص ٥٩٧ .

١٤٢ – العينى : عقد الجمان القسم الثالث ، جـ١٠ ، ورقة ٣٨٣ .

١٤٣ – ابن عساكر : التاريخ الكبير ، جـ١ ، ص ٢٤٣ ؛ فلهاوزن : تاريخ الدولة العربية ، ص ١٢٧ .

١٤٤ – عمان القماطلى : الروضة الغناء فى دمشق الفيحاء ، ص ٧٣ .

١٤٥ – سيد أمير على : مختصر تاريخ العرب ، ص ١٦٥ .

146 - Ency, Of Islam : Art Damascus.

١٤٧ – سيد أمير على : مختصر تاريخ العرب ، ص ٢٦٢ .

١٤٨ – ابن طباطبا : الفخرى فى الآداب السلطانية ، ص ٩٢ .

١٤٩ – المسعودى : مروج الذهب ، جـ٢ ، ص ١٢٩ .

١٥٠ – تاريخ اليعقوبى :

151 - Hitti : History of the Arabs, p. 277 .

152 - Ency, of Islam, Art Damascus .

١٥٣ – ابن عساكر : تاريخ دمشق ، جـ١ ، ص ٢٢٠ .

١٥٤ – ابن كثير : البداية والنهاية ، جـ٩ ، ص ١٤٤ – ١٤٥ .

١٥٥ - بروكلمان : تاريخ الشعوب الإسلامية ، جـ١ ، ص ١٧٠ .

١٥٦ - ذكر المسعودى أن معاوية كان ينفذ من قصره مباشرة إلى المسجد فى كل صلاة (مروج الذهب جـ٢، ص ٥٠ - ٥٢) ومما يدل على أن المسجد القديم كان مجاوراً للخضراء أن هشام بن إسماعيل المخزومى قدم دمشق ، وجلس بعد الصبح فى مسجدها ، فسمع عبد الملك بن مروان يقرأ القرآن فى الخضراء . (ابن كثير الدمشقى البداية والنهاية جـ٩ ، ص ١٥٩) .

157 - Sayed Ameer Ali : A Short History of the Saracens, p. 159 .

١٥٨ - ابن كثير : البداية والنهاية ، جـ٩ ، ص ١٤٣ .

١٥٩ - بروكلمان : تاريخ الشعوب الإسلامية ، جـ١ ، ص ١٢٢ .

160 - Ency: of Islam, Art Damascus

١٦١ - تاريخ الأمم والملوك ، جـ٥ ، ص ٥٣٣ .

١٦٢ - البلاذرى : فتوح البلدان ، ص ١٣١ .

١٦٣ - البلاذرى : فتوح البلدان ، ص ١٣١ .

١٦٤ - البلاذرى : فتوح البلدان ، ص ١٣٢ .

165 - Creswell: Early Muslim Architecture, Part 1, p. 131 .

١٦٦ - ابن عساكر : التاريخ الكبير ، جـ١ ، ص ١٩٩ .

١٦٧ - ابن عساكر : التاريخ الكبير ، جـ١ ، ص ٢٠٩ .

١٦٨ - البلاذرى : فتوح البلدان ، ص ١٢٣ .

١٦٩ - ابن بطريق : التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق ، جـ٢ ، ص ٤٤ .

١٧٠ - رحلة بن جبير : ص ٢٥٣ .

١٧١ - رحلة بن جبير : ص ٢٥٣ .

١٧٢ - رحلة بن جبير : ص ٢٤٩ .

173 - Creswell : Farly Muslim Arthitecture, Part 1 , p. 120 .

١٧٤ - المسعودى : مروج الذهب ، جـ٢ ، ص ١٦٦ .

١٧٥ - المسعودى : مروج الذهب ، جـ٢ ، ص ١٢٠ .

١٧٦ - رحلة بن جبير : ص ٢٥٧ .

١٧٧ - العمرى : مسالك الأبصار ، ص ١٨٨ .

١٧٨ - ابن عساكر : التاريخ الكبير ، جـ١ ، ص ٢٠٥ - ٢٠٦ .

١٧٩ - معجم البلدان : جـ٢ ، ص ٤٦٦ .

١٨٠ - ابن عساكر : التاريخ الكبير ، جـ١ ، ص ٢٤٣ .

١٨١ – الذهبى : تاريخ الإسلام ، جـ٢ ، ص ٢٦٧ .

١٨٢ – المسعودى : مروج الذهب ، جـ٢ ، ص ٧٨ .

١٨٣ – ابن عساكر : التاريخ الكبير ، جـ١ ، ص ٢٤٨ .

١٨٤ – الذهبى : تاريخ الإسلام ، جـ٤ ، ص ٨ ؛ الديار بكرى : تاريخ الخميس ، جـ٢ ، ص ٣١٤ .

١٨٥ – ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، جـ٥ ، ص ١٩ .

١٨٦ – المسعودى : مروج الذهب ، جـ٢ ، ص ١٢٩ .

١٨٧ – السيوطى : تاريخ الخلفاء ، ص ١٦٦ .

١٨٨ – ابن طباطبا : الفخرى فى الآداب السلطانية ، ص ١٢٣ .

١٨٩ – الدينورى : الأخبار الطوال ص ٣٣٤ .

١٩٠ – ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، جـ٥ ، ص ١٥٦ .

١٩١ – ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، جـ٥ ، ص ١٥٧ .

١٩٢ – حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسى ، جـ١ ، ص ٣٤١ .

المصادر والمراجع

١ – ابن الأثير : (ت ٦٣٠هـ / ١٢٣٨م) على بن أحمد بن أبى الكوم : الكامل فى التاريخ ، ١٢ جزءًا – القاهرة ١٩٥٢م.

٢ – أحمد أمين : فجر الإسلام ، القاهرة ١٩٢٨م.

٣ – أرنولد : Arnold. Tomas W, : The Caliphase ; The Preachlang of Islam – نقله إلى العربية الأساتذة : حسن إبراهيم حسن وعبد المجيد عابدين وإسماعيل النحراوى باسم " الدعوة إلى الإسلام" .

٤ – أسد رستم : الروم وصلاتهم بالعرب ، بيروت ١٩٥٥م .

٥ – الأصبهانى : (ت ٣٥٦هـ / ٩٦٧م) أبو الفرج : كتاب الأغانى ، ١٦ جزءًا – القاهرة ١٩٦٣م.

٦ – الاصطخرى : (توفى فى النصف الأول من القرن الرابع الهجرى) أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسى الاصطخرى المعروف بالكرخى : المسالك والملك ، تحقيق دكتور محمد جابر عبد العال – القاهرة ١٩٦١م.

٧ – ابن أبى أصيبعة : (ت ٦٦٧ هـ / ١٢٧٠م) أبو العباس أحمد بن القاسم بن خليفة موفق الدين : عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ، (جزءان – القاهرة ١٢٩٩ – ١٣٠٠هـ) .

٨ – الألوسى : السيد محمود شكرى البغدادى : بلوغ الأرب فى معرفة أحوال العرب ، (ثلاثة أجزاء – القاهرة ١٩٢٤م) .

٩ – أمير على : سيد Amer Ali Sayed : A Short History of The Saracens ، نقله إلى العربية رياض رأفت باسم : مختصر تاريخ العرب والتمدن الإسلامى ، (القاهرة ١٩٢٨م) .

١٠ – أنتونى نتنج : العرب انتصاراتهم وأمجاد الإسلام : ترجمة راشد البراوى (القاهرة ١٩٧٤م) .

١١ – أوليرى : دى لوسى : Oleary, De Lucy : Arabia Before Mohammed, London, 1977 .

١٢ – بارتولد : ف : Bartold, F تاريخ الحضارة الإسلامية . نقله إلى العربية حمزة طاهر – (القاهرة ١٩٤٣م) .

١٣ – بروكلمان : كارل Brokelman Carl : " Gesbchte der Islamischen Uolker and Statem " ، نقله إلى العربية الدكتور نبيه فارس والأستاذ منير بعلبكى باسم : " تاريخ الشعوب الإسلامية " ، (دار العلم للملايين – بيروت ١٩٤٨م) .

١٤ – البكرى : (ت ٤٨٧هـ / ١٠٧٩م) أبو عبيد الله بن عبد العزيز : معجم ما ستعجم ، حققه الأستاذ مصطفى السقا (القاهرة ١٩٤٥م) .

١٥ – البلاذرى : (ت ٢٧٩هـ / ٨٩٢م) أحمد بن يحيى بن جابر :

– فتوح البلدان ، القاهرة ١٣١٨ هـ .

– انساب الأشراف الجزء السابع – مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٣٠٤ ، وجـ ١١ ، القدس ١٩٣٦م .

١٦ – ترنون : أ : أهل الذمة فى الإسلام ، نقله إلى العربية حسن حبشى (القاهرة ١٩٤٩م).

١٧ – الثعالبى : (ت ٤٢٩ هـ / ١٠٣٧م) أبو منصور عبد الملك الثعالبى : لطائف المعارف .

١٨ – الجاحظ : (ت ٢٥٦هـ / ٨٦٩م) أبو عثما عمرو بن بحر

– كتاب : التارج فى أخلاق الملوك ، حققه المرحوم أحمد زكى ، (القاهرة ١٩١٤م) .

– كتاب : البيان والتبيين ، (٤ أجزاء – القاهرة ١٩٣٨م) .

– كتاب : التبصر بالتجارة ، (القاهرة ١٩٣٥م) .

١٩ – جب : هاملتون . أ.ر : Gibb Hamilton A.R. : The Arab Conquests in cen- tral Asia, London, 1923 .

٢٠ – ابن جبير : (ت ٦١٤هـ) ، محمد بن أحمد بن جبير : رحلة بن جبير ، تحقيق الدكتور حسين نصار (القاهرة ١٩٥٥م) .

٢١ – الجهشيارى : (ت ٣٣١هـ / ١٩٤٣م) أبو عبد الله محمد بن عيدروس : الوزراء والكتاب، حققه ونشره الأستاذة : مصطفى السقا وإبراهيم الإبيارى وعبد الحفيظ شلبى . (القاهرة ١٩٣٨م) .

٢٢ – ابن الجوزى (ت ٥٩٧هـ) أبو الفرج عبد الرحمن على بن الجوزى : مناقب عمر بن عبد العزيز ، (القاهرة ١٣٣١هـ) .

٢٣ – حتى : فيليب : Hitti, Philip : History of the Arab, London, 1945 ; History of Syria, London, 1950 .

٢٤ – ابن حجر (ت ٨٥٢هـ / ١٩٤٩م) : شهاب الدين بن على العسقلانى : الإصابة فى تمييز الصحابة ، (القاهرة ١٣٢٣هـ) .

٢٥ – حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى ، (القاهرة ١٩٦٤م) .

٢٦ – حسن أحمد محمود : العالم الإسلامى فى العصر العباسى (القاهرة ١٩٧٣م) .

٢٧ – حسينى س . أ . ق : Hussini s. A.O : Arab Administration ، نقله إلى العربية الدكتور إبراهيم أحمد العدوى باسم : الإدارة العربية ، (القاهرة ١٩٥٨م) .

٢٨ – حمزة الأصبهانى (ت ٣٠٦هـ / ٩١٨م) أبو عبد الله حمزة ابن الحسن الأصفهانى : تاريخ سنى ملوك الأرض والأنبياء ، (ليبزج ١٨٢٤م) .

٢٩ – ابن خرداذبة : (ت ٣٠٠ هـ / ٩١٢م) أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله : المسالك والممالك (دى غويه ١٨٨٥م) .

– مختارات من كتاب « اللهو والملاهى » . الملزم الأب أغناطيوس اليسوعى بيروت ١٩٦١م .

٣٠ – ابن خلدون (ت ٨٠٨هـ / ١٤٠٥م – ١٤٠٦م) عبد الرحمن بن محمد ، : العبر وديوان المبتدأ والخبر ، (٧ أجزاء – بولاق ١٢٨٤هـ) .

٣١ – ابن خلكان (ت ٦٨١هـ / ١٢٧١م) شمس الدين أبو العباس ، أحمد بن إبراهيم بن أبى بكر الشافعى : وفيات الأعيان ، (جزءان – بولاق ١٢٨٣هـ) .

٣٢ – الدميرى (ت ٨٠٨هـ / ١٤٠٥م) محمد بن موسى كمال الدين ، . حياة الحيوان الكبرى ، (جزءان – القاهرة ١٣٠٩م) .

٣٣ – دوزى : ر . ب . أ Dozy : R.P.A. : Easal our I. History de. Islamisme, Par- . is, 1879

٣٤ – دى بور : تاريخ الفلسفة فى الإسلام Da Boer .

٣٥ – الدينورى : (ت ٢٨٢هـ / ٨٩٥م) أبو حنيفة أحمد بن داود : الأخبار الطوال ، (جزءان – ليدن ١٨٨٨م) .

٣٦ – الذهبى : (ت ٧٨٤هـ / ١٣٤٧م – ١٣٤٨م) الحافظ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد : تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام ، (٥ أجزاء – القاهرة ١٩٥٩م) .

٣٧ – ابن رسته : الأعلاق النفيسة ، (مجموعة الكتب الجغرافية العربية ، ليدن ١٨٩١ – ١٨٩٢م) .

٣٨ – روفائيل بابو إسحاق : تاريخ نصارى العراق (بغداد ١٩٤٨م) .

٣٩ – زكى محمد حسن : فنون الإسلام ، (القاهرة ١٩٤٨م) .

٤٠ – زكى نجيب محمود : جابر بن حيان (القاهرة ١٩٧٥م) .

٤١ – زيدان . جرجى : تاريخ التمدن الإسلامى (٥ أجزاء – القاهرة ١٩٠٢ – ١٩٠٦م) .

٤٢ – ابن الساعى ، نساء الخلفاء ، تحقيق مصطفى جواد .

٤٧ – ابن سعد (ت ٧٣٠هـ /٨٣٥م) ، محمد : كتاب الطبقات الكبيرة ، (٨ أجزاء – ليدن ١٣٢٢م) ..